من على فراش الموت

(بقلم نجيب افندي يازجي)

"From the Deathbed"

جمعتني صدفة بصديق نزلت به رزايا الدهر وصنوف الشقاء صديق عرفته ممتلىء الجسم ناصع البياض تعلو وجنتيه الحمرة الطبيعية فيخيل للناظر اليه ان آلهة الجمال سكبت عليه جمالها وقد كنت اراه ضحوكاً يبتسم عن سرور داخلي كأن الدنيا وما فيها من الملاذ والسرور لا يعدُّ شيئاً بالنسبة الى سروره وفرحه اما اليوم واذا به كاسد الوجه عابسه كأنَّ حادثاً جللاً طرأ عليه فبادرته بعد السلام اين تلك الطلاقة وذاك الابتسام يا صاح ؟ اين تلك العافية وذلك الجمال الفتان ؟ ما الذي طرأ عليك فبدَّل سرورك بالغم والاكتئاب ؟ قال تسألني وانت المتزوج القديم قلت أوَ الزواج يا صاحبي اصل البلايا والمحن ؟ قال وددت ان اكتم امري وامرك ولكن سرني واخفي متاعب الزواج واعني الزواج بالسوريات المتأمركات اما وانت الصديق الصدوق والخل الوفي الوذود من عاهدته على السرَّاء والضرَّاء فاجمل ما اقصه لك الان وابلغه الى اخواني المهاجرين الاعزاب لعلي افهمهم بعض الشيء فلا يقعون بما وقعت به انا وتكون نصيحتي لهم كفارة عن ذنوب وسيئات وقعت بها في حياتي فتبتهل عظامي في داخل قبري

علقت بهوى غادة حسبت بزواجها السعادة التامة . واذ كنت على يقين من طيب عنصرها وشرف مولدها لم يخامرني ادنى شك بصيرورتها سبباً لبلائي واحزاني على ان كل متمنياتي جاءت معاكسة لافكاري اذ تجلت صفاتها الرديئة بعد الزواج بحالة تثبت اية الحكيم الذهبية المرأة الفاضلة من يجدها

التي لم يروها عروساً في بيتي حققت لها ما اشرت قبل الزواج بعلائم وسائر كيف انجس شعب وتلقنت منهم كل مبادیهم الفاسدة وحققت بافعالها وتصرفاتها المثل المأثور المعاشرة الرديئة تفسد الاخلاق السليمة اما الان فقد زادت شراسة متخذة حرية هذه البلاد ترساً تقي به من يعنفها على تصرفاتها الخارجة عن عادات وحسنات السوريات الباقيات في بلادنا المحبوبة حرية هذه البلاد اخوتي محك يُعرف به اصل المروءة ومعدنه فدققوا عيونكم ايها الشبان واياكم والزواج بالسوريات المتأمركات فانهن ضرة مزدوجة نعم لا انكر عليهن صنون العرض والشرف ولكن ليس هذا فقط مطالب الرجال ... ثم سألني بدوره قائلاً اوَ تظن ان كل امرأة تليق ان تكون زوجة قلت لا وانها تلك التي تعرف واجباتها نحو رجلها قال لقد فرَّحت قلبي فاتم سروره بجواب سؤالي الثاني وقال ما هي واجبات المرأة المتزوجة نحو رجلها ؟ واذ كنت مطلعاً على بعض الاختلاف الحاصل بينه وبين زوجته قلت اول الواجبات الطاعة العمياء وثانيها الخضوع التام .. فقال متمتماً وبهذين الواجبين سعادة المتزوج قبل ان تحاصل عليهما او على الاقل على واحد منهما ؟ فهمت من سؤاله لي انه يجب ان يقف على معيشة غيره من المتزوجين ليقابلها على حياته الزوجية فاغتممت لاختياره واستنبطت له الجواب الاتي وقلت اني في هذه الايام ترجو ان تكون

[illegible] على يقين من ان لا يوجد متزوج حاصل ما

وان عزت باشا العابد قد سافر من سوريا الى مصر وانكلترا لمخابرة اللورد والسير ادورد غراي بمسألة ضم سوريا لمصر وجعل الخديوي خليفة تحت الحكومة الانكليزية ...

وان الحكومة العثمانية قررت تعيين محمد الباقر صاحب البلاغ شيخاً للاسلام في العالم اجمع ...

وان ايطاليا (الحقيرة على رأسها الجرائد السورية) عملت بمدة قصيرة طرابلس الغرب وبنغازي اكثر مما عملته تركيا كل ايامها ...

وان الحكومة الافرنسية تريد ان تجعل عاصمة لبنان بكركي حتى تجمع بيد السلطتين الدينية والمدنية ...

وهل ان صاحب جريدة الفجر قررت الحكومة التركية تعيينه وزيراً لدى الدولة العربية التي سيريد اتحادها ...

وهل ان في الاستانة حزباً كبيراً يفتكر بتحقيق فكرة احياء جمهورية على ان يكون اول رؤسائها جلالة السلطان ... ؟؟؟

(مستفهم)

حلم ◆ ◆ ◆

وحلمت ان هزيم رعد قاصف ... حظ الدهور الى كيان ثان
وسرى على الاطلال برق خاطف ... شق الظلام بومضه الطعان
ورايت في فجر الصباح محالفاً ... ذابت امام النور مثل دخان
حتى اذا انقشعت خيالات الدجى ... ابصرت قطراً حبه ابكاني
وتجسمت اشباح اطلال خلت ... في ما مضت كانت من الاوطان
عهدي بها عفت الدهور جمالها ... وجلالها وتدثرت بهوان
فاذا بها والمجد يسطع فوقها ... ملء السماء وملء كل مكان
وسمعت في لبنان هيئمة الزبى ... مكسوة بالعشب والافنان
وحنين غابات فقدت صناعها ... من قبل فاستهلت دموع جناني
ورايت في القفر البعيد مدائناً ... طرحت رداء خرابها بثوان
فتكونت في لحظة وتقدمت ... لتباهي الباقين بالعمران
فعرفت منها بعلبك وتدمراً ... فسرت بقلبي نشوة الجذلان
ورايت اقداس الجمال مصونة ... بذلوا لها متعدد الاديان
فبنوا هياكلهم لرب واحد ... ومن الجمال المطلق الرباني
ورايت قومي يرتعون بمجدهم ... ما فيهم من خامل كسلان
فتهللت روحي وعانق جسمها ... فوق المعالم خافقاً بامان
وهناك في شط الاوراتِ وقادسِ ... ركعت امام هياكل الايمان
في موطن عرفت به ارواحه ... وتنشقت منه عبير حنان

طرأ عليك قبل سرورك بالغنم والاكتئاب ؟ قال تماني وانت المتزوج القديم قلت أوَ الزواج ياصاحبي اصل البلايا والمحن ؟ قال وددت ان اكتم امري واموت على مري واخفي متاعب الزواج واعني الزواج بالسوريات المتأمركات اما وانت الصديق الصدوق والخل الوفي الودود من عاهدته على السرّاء والضرّاء فاحل ما اقصته لك الآن وبلغه الى اخواني المهاجرين الاعزاب لعلي افهمهم بعض الشيء فلا يقعون بما وقعت به انا وتكون نصيحتي لهم كفارة عن ذنوب وسيئات وقعت بها في حياتي فتبتهل عظامي في داخل قبري

علقت بهوى غادة حسبت بزواجها السعادة التامة . واذ كنت على يقين من طيب عنصرها وشرف مولدها لم يخامرني ادنى شك بصيرورتها سبباً لبلائي واحزاني على ان كل متمنياتي جاءت معاكسة لافكاري اذ تجلت صفاتها الرديئة بعد الزواج بحالة تثبت اية الحكيم الذهبية المرأة الفاضلة من يجدها

انني لم ار يوم سرور في بيتي تحققت انها عاشرت قبل الزواج احط قوم وساكنت انجس شعب وتلقنت منهم كل مبادیهم الفاسدة وحققت بافعالها وتصرفاتها المثل المأثور المعاشرة الرديئة تفسد الاخلاق السليمة اما الان فقد زادت شراسة متخذة حرية هذه البلاد ترساً تقي به من يعنفها على تصرفاتها الخارجة عن عادات وحسنات السوريات الباقيات في بلادنا المحبوبة حرية هذه البلاد اخوتي محك يعرف به اصل المروء ومعدنه فتحوا عيونكم ايها الشبان واياكم والزواج بالسوريات المتأمركات لهنّ ضريبة مزدوجة نعم لا انكر عليهن صون العرض والشرف ولكن ليس هذا فقط مطالب الرجال ... ثم سألني بدوره قائلاً اوَ تظن ان كل امرأة تليق ان تكون زوجة قلت لا وانها تلك التي تعرف واجباتها نحو رجلها قال لقد فرّحت قلبي فاتم سروره بجواب اسؤالي الثاني وقال ما هي واجبات المرأة المتزوجة نحو رجلها ؟ واذ كنت مطلعاً على بعض الاختلاف الحاصل بينه وبين زوجته قلت اول الواجبات الطاعة العمياء وثانيها الخضوع التام . فقال متمماً وبهذين الواجبين سعادة المتزوج فهل انت حاصل عليهما او على الاقل على واحد منهما ؟ فهمت من سؤاله لي انه يجب ان يقف على معيشة غيره من المتزوجين ليقابلها على حياته الزوجية فاغتنمت فرصة انتظاره واستنبطت له الجواب الاتي وقلت اني هذه الايام ترجو ان تكون المرأة كذلك وزدت على قولي واني على يقين من ان لا يوجد متزوج حاصل على سعادة زوجية وخصوصاً المتزوجون في هذه البلاد وشعرت انه تنفس الصعداء بقوله الان اموت ناعم البال فقد قمت بواجباتي نحو اخواني المهاجرين العزاب ونصيحتي الاخيرة لهم هي ان يذهبوا الى الشرق الى بلادي المحبوبة حيث الاداب لا تزال مرعية الاجراء وحيث طاعة الرجل فوق كل طاعة اذ لا يوجد هنا واحدة من الف من المهاجرات تليق ان تكون زوجة ... ثم اجنى راسه ...

هل ذاك صحيح ؟

ان البطريرك المسكوني السعيد الذكر يواكيم لما بلغه خبر سقوط حصون شتاجه ودخول الجنود المحالفة للاستانة من فرحه شهق ومات ...

وهل ان صاحب جريدة الفجر قررت الحكومة التركية تعيينه وزيراً للدولة العربية التي تريد ايجادها ...

وهل ان في الاستانة حزباً كبيراً يفتكر بتحقيق فكرة احياء جمهورية على ان يكون اول رؤسائها جلالة السلطان ... ؟؟؟

(مستفهم)

حلم ...

وحلمت ان هزيم رعد قاصف ... حظ الدهور الى كيان ثان
وسرى على الاطلال برق خاطف ... شق الظلام برمحه الطعّان
ورايت في فجر الصباح سحائباً ... ذابت امام النور مثل دخان
حتى اذا انقشعت خيالات الدجى ... ابصرت قطراً حبه ابكاني
وتجسمت اشباح اطلال خلت ... في ما مضت كانت من الاوطان
عهدي بها عفت الدهور جمالها ... وجلالها وتدثرت ببوان
فاذا بها والمجد يسطع فوقها ... ملء السماء وملء كل مكان
وسمعت في لبنان هيئة الربى ... مكسوة بالعشب والافنان
وحنين غابات فقدت سماءها ... من قبل فاستهلت دموع جناني
ورايت في القفر البعيد مدائناً ... طرحت رداء خرابها بثوان
فتكونت في لحظة وتقدمت ... لتباهي الباقين بالعمران
فعرفت منها بعلبك وتدمراً ... فسرت بقلبي نشوة الجذلان
ورايت اقداس الجمال مصونة ... بذلوا لها متعدد الاديان
فبنوا هياكلهم لرب واحد ... رمز الجمال المطلق الرباني
ورايت قومي يرتعون بمجدهم ... ما فيهم من خامل كسلان
فتهللت روحي وعانق جنحها ... فوق المعالم خافقاً بامان
وهناك في شط الاورنت وقادس ... ركعت امام هياكل الايمان
في موطن عرفت به ارواحه ... وتنشقت منه عبير حنان

******

وسمعت زلزالاً تفجر صوته ... فافقت من نومي بكل توان
وسالت نفسي ما الضجيج وما ترى ... قد حل بالعمران والاكوان
فاذا بصبيان الجرائد صرّخ : ... خبر اتى . الحرب في البلقان
الانكليز تريد سوريا لها ... وكذا فرنسا اعلنت في الطان
وشعوب سوريا سكوت كلهم ... بهم الهوان يجيب بالاذعان
انهم حرية لم يدركوا ... معنى لها من اقدم الازمان ؟

******

فرجعت ارجو النوم علني ان ارى ... حلما مضى ما كان غير اماني

(اليف)

As-Sayeh 13 Feb. 1913 p. 4